

الأستاذة: ضميري عزيزة
مقياس: تاريخ الجزائر السياسي 1.
المستوى: السنة الأولى.
التخصص: جذع مشترك.

المحور الثاني : الجزائر في العصر الوسيط.

ثانيا: الدول الإسلامية في الجزائر.

8- الدولة الزيانية 633 هـ - 963 هـ / 1235 م - 1554 م

الزيانيون هم حلفاء الموحدين الذي سيطروا على شمال إفريقيا، وكرد للجميل مُنحت منطقة تلمسان للزيانيين ليدبروها بشرط بقائهم تحت سلطة الدولة الموحدية، إلا أن هذا الوضع لم يدم وتغير مع ضعف الموحدين، إذ أعلن **يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد** استقلاله وتنصيب نفسه أميرا على إمارة تلمسان عام 633هـ/1235م.

عندما حاول الخليفة **المعتصم** استعادة السيطرة على إمارة تلمسان، تصدى له **يغمراسن** وقتله عام 646هـ/ 1248م، وبعدها حاصر الحفصيون تلمسان عام 640هـ/1242م، استطاعت والدته **يغمراسن** التفاوض معهم والاتفاق على الدعوة لهم على منابر الجمعة إضافة إلى دفع أموال سنوية لخزينة الدولة الحفصية، كما واجه **يغمراسن** محاولات للتدخل وعزله من قبل الدولة المرينية في فاس، إلى أن توفي في نواحي الشلف عام 681هـ/1283م.

بعد وفاة **يغمراسن**، خلفه ابنه **أبو سعيد عثمان**، الذي سعى إلى تخفيف حدة التوتر مع القوى المحيطة، حيث سالم الحفصيين شرقا والمرينيين غربا، مع تركيز جهوده على إخضاع الدويلات الصغيرة الموجودة في الجزائر، ولا سيما دولة مغراوة المنافسة للزيانيين.

إلا أن السلطان المريني **أبو يعقوب يوسف** شنّ حصارا طويلا على تلمسان دام ثماني سنوات، ما أدخل المدينة في أزمة غير مسبوقة، إلى أن توفي **أبي سعيد عثمان**، وتولي ابنه **محمد ابن سعيد** السلطة عام 703هـ/1304م، مُواصلًا حكم الدولة الزيانية تحت هذا

الحصار، إلى أن توفي السلطان المريني **أبو يعقوب يوسف** في 706هـ/1307م، والذي على إثره عقد الصلح بين الدولة الزيانية والمرينية.

مع بداية ضعف وانهيار الدولة المرينية، أقدم السلطان **أبو حمو الأول** الذي تولى السلطة بعد وفاة **أخيه أبو زيان الأول** عام 707هـ/1307م، على استغلال الوضع والمضي قدما نحو استرجاع جميع المناطق التي كانت خاضعة لهم، من فيها مدينة الجزائر التي كان يحكمها **ابن علان**، وقد خلفه في الحكم ابنه **أبو تاشفين** (قام بقتل أبيه بعد التأمر عليه مع بعض المقربين إليه بسبب صرامته وشدة بأسه)، الذي نجح في فتح مدينة بجاية عام 729هـ/1328م، وعند رفضه لرجاء الحفصيين الذين وسطوا بني مرين في ذلك، بضرورة إخلاء ما احتلوه بالجزائر الشرقية خاصة بجاية، شنّ السلطان المريني **أبو سعيد** هجوما عليه، فاستولى على مدينة تلمسان عام 737هـ/1337م، وقتل **أبو تاشفين** عام 739هـ/1337م، وبذلك، عادت الجزائر إلى سيطرة المرينيين، وانتهت المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الزيانية، حيث احتل المرينيون تلمسان وجميع المناطق التي كانت خاضعة للزيانيين في الفترة الممتدة من 737 إلى 760هـ/1337-1359م، إضافة إلى احتلالهم لتونس عام 758هـ/1357م.

بعدها، برز القائد الزياني **أبو حمو موسى الثاني** الذي استعان بالحفصيين لمجابهة المرينيين، فهزمهم واستعاد مدينة تلمسان عام 760هـ/1359م، وواصل حملاته العسكرية، فاستولى على مدينة وهران عام 763هـ/1361م.

على مر السنين، استمر الزيانيون في صراعاتهم وحروبهم مع الزيانيين والحفصيين، إضافة إلى صراعاتهم الداخلية على السلطة، إلى أن وصل الأمر ببعض قادتهم المحليين إلى التحالف مع الإسبان ضد الدولة الزيانية، وعلى إثر ذلك استولى الإسبان على غرناطة آخر معاقل المسلمين العرب في الأندلس عام 897هـ/1492م.

في عام 1499م، أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما يقضي بتنصير أبناء المسلمين الذين قرروا البقاء في الأندلس، كما اتفقت القوى الأوروبية على تقاسم مناطق النفوذ بالمغرب فيما بينها، فمنحت البرتغال حق التوسع في المغرب، وإسبانيا في الجزائر، وإيطاليا في تونس.

تمكن الإسبان في عام 911هـ/1505م، من الاستيلاء على المرسى الكبير، ثم احتلال وهران عام 915هـ/1509م، بمساعدة رجل يهودي يدعى **سطورا**، قابض المكوس العامة لمدينة وهران، الذي رافقه في فتح أبواب المدينة للإسبان **العريبي وابن قانص**، الأمر الذي أحدث كارثة حقيقية إذ تم ذبح أربعة آلاف مسلم، وأسر ثمانية آلاف، وإطلاق سراح ثلاثمئة أسير مسيحي.

لقد واصل الإسبان توسعهم في الجزائر، فاحتلوا مدينة بجاية في عام 1510م، بعدها العديد من المدن الساحلية مثل: دلس، شرشال، ومستغانم، وأجبرت هذه المناطق على دفع الجزية للدولة الإسبانية. وأمام هذا الوضع، ناشد سكان السواحل الجزائرية كثيرا المسلمين في جميع أنحاء العالم، وخاصة في تركيا، طلبا للمساعدة ضد الهجمات المسيحية.

كان أول من استجاب لهذا النداء القائد البحري التركي **عروج** وشقيقه **خير الدين**، اللذان وصلا إلى بجاية عام 1512م، وحاولا تحرير المدينة وطرد الإسبان، إلا أن الإسبان كانوا أقوى، وأصيب عروج إصابة بالغة في إحدى المعارك مما أدى إلى بتر ساقه، ومع ذلك، تمكن عام 1514م من هزيمة الإيطاليين (من دولة جنوة) في مدينة جيجل، محررا بذلك منطقة استراتيجية سمحت لهم بالتواصل مع السكان المحاصرين المتبقين الراضين لتواجد الإسبان.

بعدها توجه **عروج** وشقيقه **خير الدين** إلى السلطان سليم في إسطنبول، طالبين دعمه العسكري لإنهاء الاحتلال الإسباني، فاستجاب السلطان لطلبهما، وزودهما بأربع عشرة سفينة وكميات كبيرة من البارود والمعدات العسكرية، حينها وصل إليهما وفد من الجزائر يطلب مساعدة شيخ مدينة الجزائر **سالم التومي** في تحرير المدينة من السيطرة الإسبانية، ولا سيما حصن الصخرة التي احتلها إسبانيا عام 916هـ/1510م، وبالفعل استجاب عروج وخير الدين لهذا الطلب عام 1516م، وفي خريف ذلك العام، أبحر الإسبان بخمس وثلاثين سفينة تحمل ثمانية آلاف محارب بهدف القضاء على عروج وخير الدين، إلا أن المسلمين انتصروا في معركة باب الود، وأسفرت المعركة عن مقتل ثلاثة آلاف جندي إسباني وثمانئة أسير.

عقب هذا النصر، شرع **عروج** في تقسيم الجزائر إلى مقاطعتين: مقاطعة شرقية عاصمتها مدينة دلس يرأسها **خير الدين**، ومقاطعة غربية عاصمتها مدينة الجزائر يرأسها **عروج**.

ولأن تلمسان كانت تحت الحكم الإسباني، انطلق **عروج** لتحريرها، لكنه قُتل في معركة زاوية سيدي موسى مع جميع رجاله، وكان يبلغ من العمر خمسين عامًا آنذاك، ولم يكن له أبناء.

في هذه المرحلة، وضع خير الدين خطة محكمة لحث سكان الجزائر العاصمة على المقاومة وكسب دعمهم، كما حصل على دعم السلطان **سليم الأول**، الذي جاء زائرا إلى القاهرة، حيث منحه لقب **باشا** وسماه **باي لأرباي** إفريقيا بمعنى **أمير الأمراء**، وأرسل إليه إمدادات عسكرية وستة آلاف جندي لمواجهة الإسبان. وفي رمضان عام 936هـ/1529م تمكن خير الدين من تحرير الصخرة الجزائرية من السيطرة الإسبانية، وكان لهذا النصر أثر

بالغ على العالم الإسلامي، لدرجة أن أمير تلمسان أرسل إليه رسالة يعلن فيها ولاءه له، وفي 942هـ/1535م أرسل السلطان سليمان رسالة إلى خير الدين يدعوه فيها إلى إسطنبول ليكون قائدا للبحرية التركية.

تنازل خير الدين عن منصبه في الجزائر لنائبه **محمد حسن آغا**، الذي يرجع إليه الفضل في الإمبراطور **شركان** عام 1541م، منهيًا حملته بفشل ذريع، حيث أنه هجم على الجزائر بجيش يتراوح قوامه 24 ألف إلى 36 ألف جندي، مدعوما بـ 450 سفينة حربية وأسفرت المعركة عن خسارة 12 ألف جندي إسباني ونحو 150 سفينة.